مقابر الجيش البريطانى فى العراق١٩١٤-١٩٥٨

♦د.انعام مهدى على السلمان

حينما اندلعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤- ١٩١٨)ووقفت الدولة العثمانية الى جانب دول الوسط (المانيا،النمسا –المجر) ضد دول الحلفاء (بريطانيا ،روسيا القيصرية ،فرنسا وايطاليا)، تقدمت القوات البريطانية من جنوب العراق بهدف احتلاله وكانت مدفوعة بعوامل عديدة اهمها الحفاظ على مصالحها الاقتصادية التى اخذت تتزايد فى العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ،فضلا عن اهميته الستراتيجية كطريق مؤدى الى مستعمرتهاالهند ورغبتها فى حماية انابيب ومصافى النفط فى عبادان التى كانت تمتلكها شركة النفط الانكلو فارسية (Englo-Persian Oil Com.) . وكان من الطبيعى فى ظل حرب ضروس ان يفقد البريطانيون عددا من افراد جيشهم ، وخلال مدة وجودهم فى العراق التى امتدت حتى عام ١٩٥٨توفى عدد من القوات العامله عسكريين ومدنيين ، ولتعذر ارسال جثثهم الى بريطانيا او دول الكومنويلث حينذاك فقد اضطروا الى دفنهم فى مواقع عديده فى العراق بلغت ثلاثة عشره موقعا دفن فيها (٥٤)الف من البريطانيين حسب الاحصائيات التى قدمتها السفاره البريطانيه فى العراق مؤخرا .على الرغم من اننا من خلال بحثنا نجد ان هذا الرقم مبالغ فيه اذ اننا اشرنا الى اكبر المقابر البريطانية فى العراق وما عدا ذلك فهى مقابر قليلة العدد متناثرة هنا وهناك فى اراضى العراق منها المقبرة التى تحاذى الطريق الرئيسى المؤدى الى منطقة المدائن القريبة من العاصمة بغداد التى تضم رفات عدد من الجنود البريطانيين ودول الكومنويلث الذين سقطوا جراء المعارك الحربية التى حدثت قرب المدائن حينما اقتربت القوات البريطانية من بغداد فى تشرين الثانى عام ١٩١٥ لكن العثمانيين دعموا جيشهم باعداد اخرى ثم نفذوا الخطة التى وضعها لهم القائد الالمانى فون دركولتز مما اجبر البريطانيين الى التراجع الى الكوت بعد ان تكبدت قواتهم خسائر فادحة بلغت (٤٥١١)قتيلاحيث حوصروا هناك ،كما سنرى لاحقا. كما توجد فى منطقة السيسى ،الواقعة ضمن محافظة الانبار والقريبة من قاعدة الحبانية الذى اتخذها البريطانيون قاعدة لهم بموجب معاهدة ١٩٣٠ المعقودة بين العراق وبريطانيا ،مقبرة صغيرة دفن فيها عدد من العسكريين البريطانيين الذين قتلوا اثناء المعارك التى دارت بين الجيش العراقى والقوات البريطانية عام ١٩٤١ بعد اندلاع الحرب العراقية-البريطانية فى مايس من ذلك العام .

♦استاذ مساعد- كلية الاداب - جامعة بغداد .

ومهما يكن من الامر فقداصبحت تلك المقابر على مر الزمن اثرا من الاثار التى تروى قصة الوجود البريطانى فى العراق .

ونرى فى هذا المجال ان نتطرق الى اشهر تلك المقابر وهى:

١- ***مقبرة الجيش البريطانى فى البصره***: تقع مدينة البصره جنوب العراق وتبعد عن العاصمه بغداد حوالى (٥٠٠)كم .تقع فى المدينه مقبره للجيش البريطانى تحديدا فى منطقة الحكيميه على مشارف شط العرب وعلى بعد ٢ كم من منطقة العشار يقسم المقبرة شارع رئيسى تمر منه وسائط النقل المختلفة زرعت على جانبيه اشجار الصفصاف.تضم المقبره رفات (٢٠٠٠)جندى وضابط بريطانى ما زالت احجار المرمر تحتفظ باسمائهم التى سلسلت حسب الحروف .وعلى الرغم من مرور ما يقارب من (٩٧)عاماعلى دفن الكثير منهم الا ان المقبره لا زالت تلقى الرعايه والاهتمام من قبل السفاره البريطانيه فى العراق ،كما ان الجنود البريطانيين الذين تمركزوا فى البصره بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣ كانوا يهتمون بالمقبره وزيارتها ووضع باقات من الزهور لاحياء ذكرى موتاهم .ومن خلال اطلاعنا نرى ان تلك القبور كانت لعسكريين لقوا حتفهم خلال المعارك التى دارت جنوب العراق ومن اشهرها معركة الشعيبة التى وقعت فى نيسان ١٩١٥ بين العشائر ورجال الدين العراقيين تحت قيادة القائد العثمانى سليمان باشا عسكرى والقوات البريطانية حيث تكبدت القوات البريطانية خسائر وكان انتصارهم بمثابة معجزة لكن رغم تلك الصعوبات فقد انتصر البريطانيون مماجعل القائد العثمانى يقدم على الانتحار فكانت نهاية مأساوية لقائد شجاع.

٢ – مقبرة الجيش البريطانى فى العماره : تقع مدينة العماره فى جنوب العراق وقد شيدت فيها مقبره بين عامى ١٩١٤-١٩٢٠ على مساحه تقدر ب(١٢) دونم وتضم رفات (٥٣٠٥) لجنود وضباط بريطانيين وهنود واستراليين منهم (٤٣٨٠) جثه معروفة الهويه ، و(٩٢٥)جثه مجهولة الهويه . تقع المقبره على الضفه اليمنى لنهر الكحلاء وتحيط بها بساتين النخيل .وتضم المقبره كنيسه ثبت على جدرانها الواح عليها اسماء جميع القتلى وعناوينهم ورتبهم العسكريه وتاريخ وفاتهم . يقوم حارس عراقى معين من قبل لجنة المدافن الحربيه لدول الكومنويلث بالاهتمام بها .

٣- مقبرة الجيش البريطانى فى الكوت : تبعد مدينة الكوت مركز محافظة واسط عن العاصمه بغداد (١٨٠)كم٢ .فى المدينه مقبره للجيش البريطانى تبلغ مساحتها (٢٠٠٠)م٢ يحيطها سور يضم رسومات مختلفه ،تضم المقبره رفات (٤٥٠)عسكريا بريطانيا قتلوا اثناء حصار الكوت ،حيث نجحت القوات العثمانيه بمحاصرة القوات البريطانيه مدة ستة اشهر استمرت من كانون الاول ١٩١٥ حتى ٢٩نيسان ١٩١٦وكان هذا الحصار اكبر محنة واجهتها القوات البريطانية خلال مسيرتها فى احتلال العراق فقد

اضطرت القوات البريطانية الى اكل لحوم الكلاب والحمير .كما عمدوا الى خلع الشبابيك والاستحواذعلى ما يقع بين ايديهم للتدفئة من البرد القارص الذى كان يواجههم . ثم حاول القائد البريطانى تشارلز طاونسند تقديم رشوة الى القائد العثمانى خليل بيك تقدر بمليونى ليرة عثمانية لفك الحصار عن القوات البريطانية لكن الاخير رفض رغم المبلغ المالى المغرى لذا اضطر البريطانيون الى الاستسلام بقيادة تشارلز طاونسند بقوات تقدر ١٣ الف مقاتل بعد ان هلك العديد منهم ،وبقيت عبارة طاونزند"نعلن الاستسلام"خالده على مر السنين.

وضع البريطانيون على مدخل المقبره قطعه من الرخام كتب عليها (kut war 1914- 1918) cemeteryغير ان هذه المقبره اصابها الاهمال بعد ان تركها القائم عليها بسبب عدم دفع مستحقاته الماليه منذ عام ,١٩٩١

٤- **مقبرة الجيش البريطاني في بغداد :** تقع هذه المقبره فى منطقة الوزيريه على الشارع العام المؤدى الى مجمع الكليات فى باب المعظم حيث يمر من امامها الالاف يوميا اما راجلين او متنقلين بالسيارات.تبلغ مساحة المقبره بحدود(١٠٠٠٠)الاف م٢،وهى مقسمه الى جزأين بأطر متناسقه يتوسطها قبر عال هو قبر الجنرال ستانلى مود القائد الذى دخل بغداد فى اذار ١٩١٧ وخاطب سكانها بقوله"جئنا محررين لا فاتحين ".توفى مود بعد إصابته بالكوليرا . للمقبرة مدخل عال شيدت فوقه قبة كتب في أعلى المدخل "بوابة مقبرة الجيش البريطاني "ومن هذه البوابة تدخل الجثامين حيث تبدأ مراسيم الدفن التي غالبا ما يرافقها استعراض يحمل فيه النعش. ومع ان العديد من العسكريين البريطانيين ومن دول الكومنولث دفنوا في هذه المقبرة ،إلا انه من الملفت للنظر ان هناك بعض القبور كانت تعود لبعض القتلى الأتراك الذين كما يوحى الأمر أنهم قد تعاونوا مع القوات البريطانية حيث كتبت على قبورهم بعض الآيات القرآنية .لكن إعداد هذه القبور لا تتعدى أصابع اليد. ومع ان العديد من الجثامين قد دفنت في المقبرة بعد احتلال بغداد عام ١٩١٧ إلا إن افتتاحها قد جرى في ثلاثينيات القرن العشرين ودفن فيها عدد من البريطانيين الذين سقطوا قتلى خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

وتبقى المس بل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد التى توفيت فى العراق عام ١٩٢٦عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما ودفنت فى كنيسة الأرمن الواقعة في منطقة الباب الشرقي إحدى مناطق بغداد العريقة إحدى أهم الشخصيات البريطانية التي دفنت في العراق .

الملاحق

مقبرة الجيش البريطاني في بغداد ويظهر قبر الجنرال مود ذو القبة البنية

بوابة مقبرة بغداد حيث تبدأ مراسيم التشييع الرسمية

صورة أخرى للبوابة التي تبدأ من خلالها مراسيم التشييع

قبر لجنود أتراك دفنوا في مقبرة الجيش البريطاني في بغداد

قبور الجنود الأتراك في مقبرة الجيش البريطاني في بغداد وقد كتب عليها "لا اله إلا الله محمد رسول الله"

قبر المس بل في مقبرة الأرمن في الباب الشرقي في بغداد

قبر الجنرال مود يتوسط قبور القتلى البريطانيين

رئيسة المجلس الثقافي البريطاني في العراق في زيارة لمقبرة الجنود البريطانيين في مدينة البصرة

مصادر البحث:

١- ا إبـراهيم خليـل احمـد وجعفـر عبـاس حميـدي،تأريخ العـراق المعاصر،الموصـل ١٩٨٩,،

٢- الانكليـز يهملـون أمـواتهم فـي الكوت،شـبكة الانترنـت العالميـة،الموقع الاليكترونـي الأتي:www.alsumarianews.com.

٣- جبـار بجـاي،مقبرة قتلـى الانكليـز فـي الكـوت تصـبح مكبـا للنفايـات وسـوقا لبيـع الدراجات،شـــــبكة الانترنـــــت العالميـــــة،الموقع الاليكترونـــــي الأتـــــي: http://web.comhem.se/kut/English.htm

٤- جعفر عبـاس حميـدى ،التطـورات السياسية فـى العـراق ١٩٤١-١٩٥٣،النجـف الاشرف ،١٩٧٦,

٥- حسين المعاضيدي، مقابر المحتلين في العراق شواهد على أصالة شعب وهزيمة محتل،٢٣/ حزيران/,٢٠٠٩

٦-عبد الرحمن البزاز،العراق من الاحتلال حتى الاستقلال،ط٣،بغداد ،١٩٦٧.

٧-عبد الرزاق الحسنى،تأريخ العراق السياسى الحديث ،ج١،لبنان،١٩٥٧.

٨-علـى ناصـر حسين،الإدارة البريطانيـة فـى العـراق ١٩١٤-١٩٢١ دراسـة فـى تـأريخ العراق الحديث،بغداد ،٢٠٠٨,

٩- محسن جبار العارضـى ،نافذة على الـتأريخ السياسى للعـراق المعاصـر من الاحـتلال البريطانى الى الاحتلال الامريكى ١٩١٧/٣/١١-٢٠٠٣/٤/٩،بغداد ،٢٠٠٥,

١٠- (٩٦)عاما على هزيمة القوات البريطانية في الكوت،شبكة الانترنت العالمية،موقع كتابات في الميزان.